ثانيا- التوجهات الجديدة للنزعة المقارنة.

أدت أزمة النزعة المقارنة الكلاسيكية بالباحث المقارن إلى تجديد منهجه، في محاولة تأسيس نزعة مقارنة جديدة تسعى إلى بناء ذاتها عبر ارتباطها بالبراديغمات الجديدة لعلم السياسة.

1/- عودة التحليل الثقافي:

صيغ التحليل الثقافي في النصف الثاني من القرن 19، وقد كانت هناك صعوبات لجعل مفهوم الثقافة إجرائيا، وهو ما تطلب تجاوز ثلاثة منظورات:

1- التعريف المعياري للثقافة: بوصفها مجموع القيم **المشتركة جماعيا** من طرف أعضاء مجتمع معين.

2- التعريف التاريخي: بوصفها **ميراث** منقول من جيل لآخر وفق نمط صارم لإعادة الإنتاج الاجتماعي.

3- البناء السلوكي للثقافة: نموذج **للسلوك**، يعتبر مهيمنا بين أعضاء مجتمع معين.

لقد سمحت التوضيحات الحديثة للمنظور **السيميوتيقي**[1] في إطار التحليل الثقافي بتسهيل استخدامه لغايات مقارنة. مثلا قام **كليفورد غيرتز** بإعادة تحديد مفهوم الثقافة: نسق من العلامات يعرفه أعضاء جماعة ما، ويستعملونه أثناء تفاعلهم فيما بينهم. وقد لاحظ أن التفاعل الاجتماعي لا يقتضي اقتسام الفاعلين الاجتماعيين لنفس القيم، بل حصول التفاهم فيما بينهم. وتصبح الثقافة شيفرة من الدلالات تسمح للفعل ، باكتساب توجه اجتماعي.

لقد سمحت عودة التحليل الثقافي بإيلاء أهمية خاصة لما هو ديني باعتباره منظما للطقوس والمعتقدات المرتبطة بالمقدس الجمعي. إلا أن المظهر الجديد للتحليل الثقافي خلق نقاشات عديدة:

- صعوبات منهجية تتعلق بمشكلة معرفة ثقافة الآخر: هل يمكن إبراز نسق الدلالات المؤسسة لثقافة أجنبية والتعبير عنها بالإحالة على نسق دلالة الباحث الخاصة.

- مشكلة تتعلق بكيفية بناء الثقافة: مفهوم الثقافة يستخدم بطريقة فوضوية للإشارة إلى مجموعات شاسعة وجماعات كبير.

- صعوبة أخذ التغيرات التي تمس الثقافات بعين الاعتبار: قد يضطر الباحث إلى التسليم باستمرارية وثبات النماذج الثقافية في حين أن الثقافة هي نتاج الممارسات الاجتماعية.

---

[1] **السميوطيقا / السيميوتيقا**: علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، سواء أكانت طبيعية أم صناعية. وتُعدّ اللسانيات جزءا من السيميائيات التي تدرس العلامات أو الأدلة اللغوية وغير اللغوية، في حين أن اللسانيات لا تدرس سوى الأدلة أو العلامات اللغوية.

2/- إعادة بناء سوسيولوجيا الفعل: (اللجوء إلى التحليل الاستراتيجي/ استراتيجيات الفاعلين)

تسمح العودة إلى الفاعل باستعادة تنوع إمكانيات بناء ما هو سياسي. وضمن هذا السياق نجد مقاربة جديدة فرضت نفسها بوصفها موجها رئيسيا لهذا التوجه نحو الفاعل هي الفردانية المنهجية. وقد ميز **بيار برنباوم** بين نموذجين لهذه المقاربة:

- يحيل إلى نظرية طموحة في اللعب الاجتماعي/ التفاعل الاجتماعي ، يسعى إلى وضع الفرد الحاسب كمبدأ تفسيري شامل ن معتمدا على صنف وحيد للعقلانية.

- إعادة اكتشاف وجود استراتيجيات فردية وراء العمليات الاجتماعية، دون أن تدعي هذه الاستراتيجيات أنها حاملة لتفسير شامل.

مثلا دراسة **صامويل بوبكين** حول الإنسان القروي بمنطقة تونكان في الصين: (القروي في الصين يتصف بالمرجعيات الفردانية ذاتها التي يتصف بها القروي الانجليزي، فهو أيضا حاسب و موسوم بالعقلانية).

وهكذا وانطلاقا من تصور كوني للطبيعة الإنسانية يعتبر **بوبكين** ، **إلستر**، **وهيشتر** أن تذويب الفرد داخل النسيج الاجتماعي والجماعي يظل فكرة مسبقة. لذلك يكون من الأفضل للتحليل المقارن العمل على مقارنة الإنجازات المتمايزة للاستراتيجيات التي تحركها اعتبارات فردية.

إن اللجوء إلى براديغم الفعل - بالنسبة للباحث المقارن- يثير مشكلة ابتكار ما هو سياسي التي تجاهلها التحليل المقارن الكلاسيكي. حيث أن تحليل الابتكار السياسي المرتبط باستراتيجيات الفاعلين السياسيين يحيل إلى كيفيات مختلفة: التقليد، المحاكاة، الاستيراد، التجديد.

1- تنشيط التقاليد: يتم استخدام التقاليد أو اللجوء إليها جزئيا على الأقل من طرف الحكام الجدد بغرض تكريس هيمنتهم وفق ممارسات معروفة.(إعادة اكتشاف القانون الروماني من أمراء الغرب عند نهاية العصور الوسطى، لاعتماد على تعبئة الفلاحين من أجل بناء الصين بوصفها تنشيطا لممارسة إمبراطورية).

2- المحاكاة: إما داخل فضاءات اجتماعية منتمية للجماعة نفسها مثل ابتكار الدولة الذي تم في جزء كبير منه بنقل النموذج الكهنوتي. أو بالاتجاه نحو النماذج الأجنبية مثل التأثير البيزنطي على الإمبراطورية الأموية والعباسية، تأثير نموذج الدولة الغربية.

لكن على الباحث المقارن أن ينتبه لتنوع استراتيجيات المحاكاة:

- محاكاة ناتجة عن إكراه بسيط.
- محاكاة لتدعيم سلطة مترنحة/ ضعيفة.

- محاكاة/استيراد صادرة عن بعض الفاعلين بغية السيطرة على مواقع جديدة أكثر ملاءمة في المشهد السياسي.
- محاكاة/استيراد صادرة عن أقليات عرقية أو طائفية تسعى لحماية نفسها.

4- التجديد: يرافق الابتكار التجديد، فإعادة تفعيل التقاليد والمحاكاة والاستيراد تؤدي دوما إلى الامتلاك: أي إلى الإدراج الإرادي لممارسة مستعارة داخل سياق جديد وخاص. وهذه التجديدات تحيل على الإنتاجات المؤسساتية والممارسات الجديدة والدلالات غير المسبوقة التي تفصل المنتوج المستورد عن مصدره الأصلي.

أخيرا،

نختم بما توصلت إليه **تيدا سكوكبول** - المنخرطة في عملية التجديد المقارن- ، من أن هناك تقابلا بين ثلاثة توجهات داخل البحث المقارن الحديث:

1- تطبيق نموذج عام للتاريخ: يعتبر بمثابة تحيين للنظريات الكبرى التي أسست النزعة التنمويانية والتي اهتمت بتحليل مختلف المسارات.

مثال: **إيمانويل فالرشتاين** حول نشأة وتطور النظام الرأسمالي الدولي.

2- البحث عن تناسقات سببية: يدعي إيجاد توضيحات سببية في التاريخ من دون إصدار أحكام مسبقة عليها أو على كونيتها. وتبحث عن تفسير ملائم لمجموعة من المعطيات المكونة لمشكلة تاريخية كبيرة تهم عدة مجتمعات.

مثال: **بارمنغتون مور** عن المسارات المختلفة لأنظمة السياسية الأوربية، و **سكوكبول** عن انبثاق الثورات الاجتماعية.

3- مقارنة المسارات التاريخية والإقرار بتفردها، مع إبراز الاختلافات الحاملة للدلالة في إطارها.(مساهمات التحليل الثقافي وتحليل سوسيولوجيا الفعل)

مثال: **رينهارد بنديكس** عن الشرعية في "ملوك أم شعوب".